مذبحة القدس؛ استحالة التعايش

أعادت الاحداث التي شهدتها مدينة القدس، صبيحة الثامن من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٩٠، الى الواجهة، الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي في صورته الاكثر درامية. فقد سقط واحد وعشرون شهيداً فلسطينياً وجرح مئة وخمسون، في خلال اشتباكات مع رجال الشرطة الاسرائيلية وحرس الحدود، الذين اطلقوا النار بغزارة على جموع الفلسطينيين في ساحة المسجد الاقصى. كما أشار الحدث، الاكثر مأساوية في تاريخ القدس، منذ احتلالها في العام ١٩٦٧، الى حجم الصراع الدائر عليها، والذي أُعيد التركيز عليه من داخل المدينة ذاتها في صورة اختلطت فيها المصالح القومية بالدينية. وفيما أخذت الاحداث طابع الدفاع عن الاماكن المقدسة لدى الجانب الفلسطيني، وباعتبارها جزءاً من التراب الوطني، ظهرت، في الجانب الاسرائيلي، في صورة عداء بلغ مستوياته العليا وتميّز بالاستفزاز، وعكس الاستعداد والتخطيط المسبقين لايقاع اكبر عدد من القتلى والجرحى في صفوف الفلسطينيين.

اندلعت الاحداث عندما حاولت جماعة يهودية من «أمناء جبل الهيكل» الدخول الى الحرم المقدسي الشريف بالقوة، لوضع الحجر الأساس لما يسمونه «هيكل سليمان»، تمهيداً لتشييده. وكان أفراد الجماعة يرفعون يافطات كتب عليها «جبل الهيكل، رمزنا الوطني، بيد أعدائنا»، و«لنخلّص جبل الهيكل المقدس من أيدي أعدائنا العرب» (**اليوم السابع**، باريس، العدد ٣٣٦، ١٥/١٠/١٩٩٠).

كان آلاف المواطنين توافدوا، منذ عشية المجزرة، الى رحاب المسجد الاقصى، خوفاً من قيام سلطات الاحتلال الاسرائيلية بمنعهم. واستمر توافد المواطنين الى المكان طيلة الليل، وخصوصاً عندما حان وقت صلاة الفجر؛ وكان هدف الجميع هو الدفاع عن مقدساتهم الاسلامية.

في الساعة العاشرة صباحاً، قامت احدى الدوريات الاسرائيلية بالتحرّش بسيدة فلسطينية وزوجها بشكل سافر، ممّا أثار حفيظة الشبان المتجمّعين في المكان، والذين قدموا اليه من مناطق مختلفة في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، وحتى من مناطق الجليل والمثلّث. وعندها اقتحمت فرقة مكوّنة من مئة جندي اسرائيلي، من قوات حرس الحدود، المسجد الاقصى من جهة باب المغاربة، وبدأت باطلاق العيارات الحيّة، فاستقرت أول طلقتين في جبهة شاب فلسطيني انشطر رأسه من الامام على مرأى من مئات المواطنين، الذين أخذوا يرشقون المهاجمين الاسرائيليين بالحجارة. واستمرت الاشتباكات وعمليات القتل، بدون توقف، لمدة ساعة. وذكر شاهد عيان ان بعض المستوطنين اليهود أطلقوا النار من شرفات وشبابيك المنازل في الحي اليهودي المطل على الحرم الشريف. وسط الاحداث هذه، ناشد خطيب المسجد الاقصى الجنود الاسرائيليين بالتوقّف عن اطلاق النار، وطلب من المواطنين التوجّه للاحتماء بالاقصى، والنساء بقبّة الصخرة. غير ان الجنود تابعوا اطلاق النار وملاحقة الفارّين نحو الاقصى وقبّة الصخرة، وقتل شاب على بوّابة المسجد الاقصى. وحاول المئات الاختباء خلف الاشجار، فانهالت عليهم اغصان كثيرة تكسّرت بفعل رصاص الجنود الذي لم يتوقف الاّ بعد مذبحة دموية بشعة سقط، في خلالها، واحد وعشرون شهيداً (**المصدر نفسه**). والشهداء هم: ربحي حسن العمّوري، ونمر جهاد محمود حميد الياسيني، وفايز حسين أبو سنينة، ومجدي نظمي ابو صبيح، ومجدي عبد حميدان أبو سنينة، وأيمن محيي الدين الشامي، وبرهان الدين عبدالرحمن كاشور، وجادو محمد راجح زاهدة، وابراهيم عبدالغفار غرابة، ومريم حسين زهران مخطوب، وابراهيم محمد علي فرحات إدكيك، وعبدالكريم محمد زعاترة، ومحمد عريف ابو سنينة، وحسن شحادة عبدربّه، وعدنان خلف مواسي،